

تاج العروس من جواهر القاموس

قالَ لَبِيدٌ هذا في جاهليّته فَوَافَقَ قَوْلُهُ التَّنْزِيلَ العَزِيزَ : " يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " . قالَ : وقد يَقَعُ أَضْلَاهُمْ في غيرِ هذا المَوْضِعِ عَلَى الْحَمْلِ عَلَى الضَّلَالِ والدُّخُولِ فِيهِ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " رَبِّ إِنْ زَهْنٌ أَضَلَّاهُ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ " أَي ضَلُّوا بِسَبَبِهَا لِأَنَّ الْأَصْنَافَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُ . وقالَ الرَّاجِزُ : الإِضْلَالُ ضَرْبانُ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَنَّ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وذلكَ عَلَى وَجْهِينِ إِمَّا بِأَنْ يَضِلَّ عَنْكَ الشَّيْءُ كقَوْلِكَ : أَضَلَّاتُ الْبَعِيرِ أَي ضَلَّ عَنِّْي وَإِمَّا أَنْ يُحْكَمَ بِضَلَالِهِ . والضَّلَالُ في هذينِ سَبَبٌ لِلِإِضْلَالِ والضَّرْبُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الإِضْلَالُ سَبَبًا لِلضَّلَالِ وهو أَنْ يُزَيَّنَ لِلْإِنْسَانِ الْبَاطِلُ لِيَضِلَّ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " لَهُمْ مَتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ " أَي : يَتَحَرَّرُونَ أَفْعَالًا يَقْصِدُونَ بِهَا أَنْ تَضِلَّ فَلَا يَحْصِلُ مِنْ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ إِلَّا مَا فِيهِ ضَلَالُ أَنْفُسِهِمْ وقالَ عن الشَّيْطَانِ : " ولَأَضِلَّنَّ هُمْ وَلَأُمْنِيَنَّهُمْ " وقالَ في الشَّيْطَانِ : " وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا " وَإِضْلَالُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِينِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وهو أَنْ يَضِلَّ الْإِنْسَانُ فَيَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَيَعْدِلَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ فِي الْآخِرَةِ . وذلكَ إِضْلَالٌ هُوَ عَدُولٌ وَحَقٌّ وَالْحُكْمُ عَلَى الضَّالِّ بِضَلَالِهِ والعُدُولُ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ عَدُولٌ وَالثَّانِي مِنْ إِضْلَالِ اللَّهِ : هُوَ أَنْ يَضِلَّ تَعَالَى وَضَعَجَ جِبِلَّةً الْإِنْسَانِ عَلَى هَيْئَةٍ إِذَا رَأَى طَرِيقًا مَحْمُودًا كَانَ أَوْ مَذْمُومًا أَلِفَهُ وَاسْتَطَابَهُ وَلَزِمَهُ وَتَعَسَّسَ صَرَفُهُ وَأَنْصَرَفُهُ عَنْهُ وَيَصِيرُ ذَلِكَ كَالطَّبْعِ الَّذِي يَأْتِي عَلَى النَّاقِلِ وَلِذَلِكَ قِيلَ : الْعَادَةُ طَبْعٌ ثَانٍ وَهَذِهِ الْقُسُورُ فِي الْإِنْسَانِ فِعْلٌ إِلَهِيٌّ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ صَحَّ أَنْ يُنْسَبَ ضَلَالُ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَيُقَالُ : أَضْلَاهُ اللَّهُ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ سَبَبًا فِي وَقُوعِ فِعْلٍ صَحَّ نِسْبَةُ ذَلِكَ الْفِعْلِ إِلَيْهِ لَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ الْجَهْلَةُ وَلِمَّا قُلْنَا : جَعَلَ الإِضْلَالُ الْمَنْسُوبَ إِلَى نَفْسِهِ لِلْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ دُونَ الْمُؤْمِنِ بَلْ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ إِضْلَالُ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ

إِذْ هَدَاهُمْ " وقال في الكافر والفاسق : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ " " وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ " " كذلك يُضِلُّ الْكَافِرِينَ " وَيُضِلُّ الْظَّالِمِينَ " وعلى هذا الذَّحْوِ تَقْلِيْبُ الْأَفْئِدَةِ وَالْخَتْمُ عَلَى الْقَلْبِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْمَرَضِ انْتَهَى . وَيُقَالُ : هُوَ ضَالٌّ تَالٌّ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " وَلَا الضَّالِّينَ " قِيلَ : عَنَى بِهِمُ الذَّصَارَى . وَقَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ : .

رَأَاهَا الْغُفُودُ فَاسْتَضَلَّ ضَلَالُهُ ... نِيَافًا مِنْ الْبَيْضِ الْكَرَامِ
الْعَطَائِلِ قَالَ السُّكَّرِيُّ : طَلِبَ مِنْهُ أَنْ يَضِلَّ فَضَلَّ كَمَا يُقَالُ :
جُنَّ جُنُونُهُ وَمِثْلُهُ فِي الصَّحاحِ . وَيُقَالُ : ضَلَّ ضَلَالُهُ قَالَ أَوْسُ بْنُ
حَجَرٍ : .

إِذَا نَاقَهُ شُدَّةٌ بِرَحْلٍ وَنُفْرُقٍ ... إِلَى حَكَمٍ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَالُهَا